مطلب الانتقام ويحب الخصال الحميدة

كملت مروته وظهرت عدالته ووجبت محبته وقال بعض البلغا من شرايط المروة ان يتعفف عن الحرام ويتنظف عن الاثام وينصف في الحكم ويكف عن الظلم ولا يطمع فيما لا يستحق ولا يستطيل على من لا يسترق ولا يعين قويا على ضعيف ولا يؤثر دنيا على شريف ولا يسر بما يعقب الوزر والاثم ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم وسيل بعض الحكما عن الفرق بين العقل والمروة فقال العقل يامرك بالانفع والمروة تامرك بالاجمل ولا تجد الاخلاق على ما وصفناه من حد المروة منطبعة ولا عن المراعات مستغنية وانما المراعات هي المروة لا ما انطبعت عليه النفوس من فضائل الاخلاق لان غرور الهوى ونازع الشهوة يصرفان النفس عن الافضل من خلايقها والاجمل من طرايقها وان سلمت منهما وبعيد ان تسلم لما استكملت شرف الاخلاق تطبعا ولا استغنت عن تهذيبها تكلفا وتصنعا قال الشاعر

من لك بالمحض وليس محض ... يخبث بعض ويطيب بعض

ثم لو استكملت الفضل طبعا وفي المعوز ان يكون مستكملا لكان في المستحسن من عادات دهره والموضوع من اصطلاح عصره من حقوق المروة وشروطها ما لا يتوصل اليه الا بالمعاناة ولا يوقف عليه الا بالتفقد والمراعاة فثبت ان مراعاة النفس على افضل احوالها هي المروة واذا كانت كذلك فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها الا من تسهلت عليه المشاق رغبة في الحمد وهانت عليه الملاذ حذرا من الذم ولذلك قيل سيد القوم اشقاهم وقال ابو تمام

والحمد شهد لا يرى مشتاره ... يجنيه الا من نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبه الذي ... لم يوه عاتقه خفيف المحمل

غيره

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والاقدام قتال

وقد لخص هذا المتنبي في قوله

واذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الاجسام

والداعي

١٤١

والداعي الى استسهال ذلك شيئان هما علو الهمة وشرف النفس اما علو الهمة فلانه باعث على التقدم وداع الى التخصيص انفة من خمول الضعة واستنكاف من مهانة النقص ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الامور واشرافها ويكره سفسافها وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا تصغرن هممكم فاني لم ار من اقعد عن المكرمات من صغر الهمم وقال بعض العلما اذا طلب رجلان امرا ظفر به اعلاهما مروة وقال بعض الادبا من ترك التماس المعالي بسوء الرجا لم ينل جسيما واما شرف النفس فان به يكون قبول التاديب واستقرار التقويم والتهذيب لان النفس ربما جمحت عن الافضل وهي به عارفة ونفرت من التاديب وهي له مستحسنة لانها عليه غير مطبوعة وله غير ملايمة فتصير منه انفر ولضده الملايم آثر ولذلك قيل ما اكثر من يعرف الحق ولا يطيعه فاذا شرفت النفس كانت للاداب طالبة وفي الفضايل راغبة فاذا مازجها صادف طبعا ملايما فنمى واستقر فاما من مني بعلو الهمة وسلب شرف النفس فقد صار عرضه لامر اعوزته آلته وافسدته جهالته فصار كضرير يروم الكتابة واخرس يروم الخطابة فلا يزيده الاجتهاد الا عجزا والطلب الا عوزا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هلك امرؤ عرف قدره وقيل لبعض الحكما من اسوأ الناس حالا قال من بعدت همته واتسعت امنيته وقصرت آلته وقلت مقدرته وقد قيل

ولا خير فيما يكذب المرء نفسه ... وتقواله للشيء يا ليت ذا ليا
لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي ... اذا هو لم يجعل له الله واقيا

وقال بعض الحكما تجنبوا المنى فانها تذهب ببهجة ما خولتم وتستصغرون نعمة الله عندكم وقيل في منثور الحكم المنى من بضايع النوكى وان صادف بعضه حظا نال به املا كان فيما نال كالمغتصب وفيما وصل اليه كالمتغلب

Copyright © King Saud University